باقر الدجيلي ١٩١٧ - ٢٠٠٦

باسم عبد الحميد حمودي

باقر مجيد الدجيلي رجل قانون وادب وفولكلور انتقل إلى رحمة الله في الثالث عشر من مايس الماضي وهو في التاسعة والثمانين بعد ان عمل طويلاً في الادارة العامة والمحاماة وعين وزيراً للبلديات عام ١٩٦١ على عهد الزعيم عبد الكريم قاسم.

والدجيلي من شخصيات العراق الثقافية التي اخذت الادارة العامة منها الكثير فقد ولد في النجف الاشرف سنة ١٩١٧ في اسرة علمية معروفة ظهر فيها اشقاؤه عبد الكريم الدجيلي راوية الجواهري والباحث في شعره وادبه وحسن الدجيلي التربوي المعروف وعبد الحميد الدجيلي الاديب والشاعر والمحقق والتربوي.

اكمل باقر الدجيلي الدراسة الاعدادية في النجف الاشرف وتخرج في كلية الحقوق سنة ١٩٤٠ حيث كان قبل ذلك قد نشر الكثير من المقالات والقصائد في صحف العاصمة وفي النجف وقد عين الدجيلي في السلك الاداري مديراً للناحية وقائممقامية في عدد من المدن العراقية ثم عين متصرفاً للواءي الحلة والسليمانية قبل ان يستوزر، بعد ذلك عاد إلى العمل في المحاماة، حتى تقاعد عن العمل منصرفاً الى القراءة والتدوين دون ان يستطيع نشر مخطوطته عن (سياسة الاراضي في العراق).

اهتم الدجيلي وهو يتنقل من مدينة إلى اخرى بالبلدانيات العراقية وقد مكنته معرفته بالانكليزية من ترجمة محاضرة الانثروبولوجي ولفرد ثيسكر عن (المعدان) حيث طبعت المحاضرة في مطبعة الرابطة ببغداد سنة ١٩٥٦ متضمنة مقدمة مهمة وتعليقات وهوامش للمترجم استكمل فيها معلومات ثيسكر عن منطقة الاهوار العراقية وصوب غير الدقيق فيها وشرح ما غمض من المصطلحات المحلية وندرج ادناه تعليقاته عن المحاضرة التي جعل منها ثيسكر النواة الاساسية لكتابه عن الاهوار.

تعليقات الدجيلي

تعد تعليقات وهوامش باقر الدجيلي على محاضرة ولفرد ثيسكر عن (المعدان) مادة ثقافية مكملة ومصححة لملاحظات ثيسكر عن سكان الاهوار الجنوبية في العراق وقد وجدنا من المفيد اثبات معظمها لتكون صورة البحث المترجم متكاملة.

١-قال الدجيلي عن ثيسكر وحياته حتى عام ١٩٥٤ .

ولد عام ١٩١٠ في المفوضية البريطانية في أديس أبابا. وهو اكبر اولاد النبيل ولفرد ثيسكير الوزير البريطاني في الحبشة آنذاك. وقد نال وسام الخدمة الممتازة D.S.O وهو احد الاوسمة الرفيعة في بريطانية يمنح عادة لضباط الجيش البريطاني. وقد تلقى دراسته الثانوية في مدرسة ايتون المشهورة، والعالية في جامعة أكسفورد. وفي عام ١٩٣٣ - ١٩٣٤ قام بدراسة أحوال منطقة داراكيل في الحبشة، والتحق في الخدمة السياسية في السودان وتولى ادارة مقاطعة دارفور الشمالية. وفي ١٩٤٠ - ١٩٤١ عين ضابطاً في الجيش البريطاني ورابط في الحدود السودانية، وتطوع بعدها في قوات الحبشة الوطنية ضد القوات الايطالية. وارسل بمهمة خاصة إلى سورية، واستأنف دراسة اللغة العربية في دمشق واشتغل كذلك في الصحراء الغربية.

وفي خلال ١٩٤٥ - ١٩٥٠ قام بزيارة منطقة الربع الخالي والحجاز وحضرموت ومحمية عمان: ونال مدالية الجمعية الجغرافية في لندن بعد زيارته لهذه المناطق، وألقى على اعضاء الجمعية الآسيوية الملكية عقب ذلك محاضرة عن بدو جنوب الجزيرة. وسافر خلال ١٩٥٠ - ١٩٥٥ إلى ايران والعراق وباكستان وافغانستان. وفي هذه الفترة كتب رسالته عن "المعدان" هذه التي آثرت ترجمتها.

وقد تعرفت عليه بحكم وظيفتي يوم كنت قائممقاماً لقضاء الشطرة سنة ١٩٥٠؛ فقد زارني طالباً مني تسهيل مهمته في زيارة الاهوار الواقعة في منطقة البدعة. وقد فاتحته برغبتي في ترجمة محاضرته هذه فوافق مشكوراً بكتابه المؤرخ في ٥ تموز سنة ,١٩٥٥

٢-في ايضاحه لمعنى كلمة (معدان) قال الدجيلي "إن كلمة معدان جمع ومفرده (معد) وهو جمع عربي كقولنا في جمع عرب، عربان، وقس على ذلك ومعد حي أي قبيلة يذكر ويؤنث، يقال فلان معدي أي منسوب إلى حي، ومن ذلك المثل السائر "تسمع بالمعيدي خير من ان تراه" وكان هذا المعيدي يغير على مال النعمان بن المنذر ملك الحيرة فكان يطلبه فلا يقدر عليه، وكان يعجبه ما يسمع عنه من شجاعة واقدام إلى ان أمنه، فلما رآه استزرى منظره لانه كان دميم الخلقة، وتمعدد (فعل) أي تزيا بزيهم، والمعيدي تصغير رجل منسوب إلى معد يضرب مثلاً لمن كان خبره خيراً من مرآه".

انتهى تعليق الدجيلي والواضح ان معظمه يدور حول حكاية المثل فالمعدان اليوم قبائل وانساب.

٣-في ص١٩ يؤرخ للجاموس بالقول "يستعمل المعدان كلمة الجاموس بصورة المفرد وجمعه دواب، وقد عرف الجاموس في ولاية الحجاج بن يوسف.. الخ.

وقال في تعليق آخر (يأكل جاموس المعدان الحشيش (سيقان القصب) والبردي والكولان والجريج والسجل والقاط والكوبان وابو رقبة والحلبلاب والكعيبة والحو والمران والحليان ويعقر المعدان الرحل جواميسهم ليلاً بينما يترك القرويون الذين تفصل البرك بيوتهم جواميسهم طليقة امام بيوتهم ويستعمل المعدان قاطبة ترنيمة خاصة حينما ينادون جواميسهم.

٤-عن عادات الحلب وتقاليده يقول الدجيلي "شاهدت نساء عشيرة الشفانية في منطقة الصيقل يقمن بحلب الجاموس وتحلب النساء الغنم والمعز اذا كن من عشائر الرعاه كعشيرتي بني لام وآل عيسى ويقوم الرجال بمسك الحيوانات اثناء حلبها، وقد لا تقوم نساء بدو جنوب جزيرة العرب بحلب الجمال" وقال في موضع آخر "يحمل المعدان الرحل اغلب ممتلكاتهم في صندوق خشبي كبير" ونقول ان معظم العشائر الرحل قد استوطنوا الاهوار ولم يعد التجوال ملائماً بالنسبة لغالبيتهم.

٥-في تعليقه على الايشنات والجزر يقول "يبلغ ارتفاع ايشان "الواجف" الذي يقع في الاهوار الشرقية نحو الثلاثين قدماً وارتفاع "العزيزة" نحو خمسين قدماً، واغلب الجزر لا يزيد ارتفاعها على اكثر من (١٢) قدماً عن مستوى ماء الهور.

٦-يقول عن المضايف "روي لي ان بعض مضايف الفرات تتألف من ١٧ حنية، ويشيد بيت وادي من عشائر البو محمد مضايفهم من ١١ حنية في حين ان بيت صيهود يشيدونها من (٩) حنايا وعن انواع المشاحيف يقول انها من انواع مختلفة منها: جلابية وبركاشة أو دانق وقعيدة وطراد. اما الماطور الصغير فلا عنق له وقد يربط المعدان عدداً من حزم البردي بعضها إلى بعض ويصنعون منها قارباً بدائياً يدعونه بـ الشاشة ومن العادات الجارية ان يحيي المسافرون مع تيار النهر الذين يسيرون ضد تيار الماء.

٧-يقول الدجيلي في تعليقه على اسماء العلم عند المعدان "من الاسماء الغريبة التي يستعملها المعدان: جليب - جريدي - باكور - عتوي - حولية - واوي - قنفذ - شبل - برهان - هليجي - غراب - طويره - برغش - دكة - رفش - شبوط - قطان - بني - حمرية - جري - عجد - شلير - شوكة - حنظل - ركية - خلاله - طبيخ - صحين - عظيم - جلد وغالباً ما تستعمل صيغ التصغير" ويورد ثيسكر اسماء غريبة اخرى مثل خنزير - ضبع - جحيش - برغوث - جراد - كوسج - عفريت - بعرور والملاحظ ان هذه الاسماء مأخوذة من محيط المجتمع ومن منتجاته وسمكه ونباتاته وحيواناته.

باقر الدجيلي

٨-علق الدجيلي على طرق صيد الخنازير في الاهوار بقوله "يستعمل المعدان مختلف اجزاء الخنزير لاغراض التطبيب والسحر ويعتقدون ان استعمال مرارته يشفي عضة الافعى وان الانسان يستطيع ان يشفى من مرض الرماتزم اذا ما جلس في جوف خنزير. قد قتل حديثاً واخرجت معدته

رحم الله باقر مجيد الدجيلي الشخصية العراقية الكبيرة وسيظل ذكره عطراً ابداً.

المعدان ..أو سكان الاهوار في جنوب العراق

ولفرد ثيسكر

تبلغ مساحة أراضي الاهوار التي تقع في جنوب العراق نحو ستة آلاف ميل مربع؛ وتشتمل على منابت واسعة للبردي، ومستنقعات ومجاري مياه ينتشر فيها عدد من الجزر الصغيرة والقرى القليلة، وعلى حقول لزراعة الرز. وهذه المساحات الواسعة المغمورة بالمياه والاوحال والمكسوة بالنباتات المتشابهة، والموبوءة بالبق والبعوض، مكان طبيعي، حيث أوجد الانسان له وسائل بدائية للمعيشة تنسجم هي ومحيطه. ويقطن سكان الاهوار المعروفون بالمعدان في صرائف من البردي، قائمة على جزر أو "جباشة" ترتفع عن مستوى سطح الماء مصنوعة من البردي والقصب المتراكم بعضه فوق بعض. وينتقلون في هذه الاهوار بقوارب مزفتة، ويعيشون في الاعم الاغلب على صيد الاسماك وحليب الجاموس. والحياة في منطقة الاهوار قاسية، باردة في موسم الشتاء، وحارة رطبة في موسم الصيف وهي منطقة مقفلة، ويصعب التوغل فيها حيث مجاري المياه الضيقة الخفية التي ينبت البردي على جانبيها، ويرتفع في علوه إلى عشرين قدماً تقريباً.

وفي منطقة الاهوار فصلان واضحان هما: فصل الصيف وفصل الشتاء. والخريف والربيع فصلان قصيران، لا يستديم كل واحد منهما اكثر من شهر واحد. ويبدأ الصيف في شهر مايس وينتهي في اوائل شهر تشرين الاول. وتهطل الامطار عادة في فصلي الشتاء والربيع. وتشتد درجة الحرارة في الصيف جداً؛ وتجعل زيادة الرطوبة في هذه الاهوار الحياة غير مريحة تماماً. وكثيراً ما تكون ايام الشتاء دافئة فتبلغ درجة الحرارة (٥٨٥)، والليالي باردة دائماً، وحينما تهب الرياح الشمالية من جبال كردستان المكسوة بالثلوج يصبح البرد شديداً. وقد يبلغ التفاوت في درجات الحرارة بين الليل والنهار (٥٥٥). ولا يوجد من الوقود غير البردي و"المطال" المصنوع من فضلات الحيوانات. ومع ان بيوت المعدان لا تتسرب إليها مياه الامطار عادة إلا انها باردة ومعرضة في موسم الشتاء إلى التيارات الهوائية.

تقسيم الاهوار:

ان هذه الاهوار تمتد من مدينة العمارة الواقعة على نهر دجلة جنوباً ومن مدينة سوق الشيوخ الواقعة على نهر الفرات إلى مدينة القرنة شرقاً حيث يلتقى النهران ويشكلان شط العرب. ويمكن تقسيمها إلى (١) الاهوار الشرقية وهي التي تقع بين نهر دجلة والحدود الايرانية و(٢) الاهوار الوسطية التي تقع بين نهري دجلة والفرات و(٣) الاهوار الجنوبية التي تقع جنوب نهر الفرات نحو بحيرة الحمار. وقد تكونت هذه الاهوار من جراء تجمع مياه الفيضانات، وبارتفاع درجات الحرارة في اشهر آذار ونيسان ومايس تذوب الثلوج المتراكمة فوق جبال تركية وايران وتسبب فيضانات عالية. وفي شهر حزيران يبدأ انخفاض مناسيب المياه في نهري دجلة والفرات، ويصل هذا الانخفاض في شهري ايلول وتشرين الاول إلى درجة كبيرة، ثم تعود مناسيب المياه بالارتفاع، وترتفع عادة في شهر تشرين الثاني بعض الارتفاع، وتواصل ارتفاعها خلال موسم الشتاء كله. وقد تحدث زيادة قليلة ومفاجئة في فصلي الشتاء والربيع بسبب هطول الامطار بغزارة في المناطق الشمالية. وغالباً ما يقع فيضان نهر دجلة العالي قبل شهر واحد من فيضان نهر الفرات من جراء ذوبان الثلوج. وتسحب الاهوار الشرقية والوسطى مياهها من نهر دجلة. ولقد قدر ان نحو ٨٠ بالمائة من المياه التي تمر بمدينة بغداد تنساب إلى هذه الاهوار. اما نهر الفرات فتنساب مياهه جنوب مدينة الناصرية بقنوات متعددة، ويتم تصريفها تدريجياً في هور الحمار، ثم تنساب كلها إلى شط العرب مارة بقناة (كرمة علي) التي تقع على بعد بضعة أميال من شمال مدينة البصرة. اما المياه التي تسير في مجرى الفرات القديم ابتداء من مدينة سوق الشيوخ حتى مدينة القرنة فانها تنساب من الضفة اليمنى لنهر دجلة. وتتكون ايضاً بعض الأهوار الدائمة في نهاية الغراف الجنوبية الواقعة في شمال مدينة العمارة من جراء فيضان نهري الطيب والدويريج اللذين ينبعان من الجبال الايرانية. وفي شهر نيسان ومايس تمتد مياه فيضانات دجلة والفرات إلى الصحراء المجاورة وتغطى مساحات كبيرة من الاراضي ابتداء من مدينة الكوت حتى ضواحي مدينة البصرة. وحينما تنحسر المياه عن الاراضي الواقعة حوالي الاهوار يظهر مرة أخرى سهل ترابي طيني تشققه حرارة الشمس ويجوبه بعض الرعاة من العشائر المجاورة أو يزرع بعض مناطقه زراع الحنطة والشعير. ان هذه المنطقة ترتبط بالاهوار ولكن ليست جزءاً منها.

ان اراضي العراق الجنوبية منبسطة؛ فلا ترتفع مدينة البصرة عن مستوى سطح البحر إلا سبعة اقدام، والقرنة تسعة اقدام، والناصرية (١٦) قدماً، والعمارة ثلاثين قدماً، مع ان الاخيرة لا تبعد اكثر من مائة ميل عن مدينة البصرة. وقد خمنت، بدليل العلامات الموجودة على سيقان البردي في الاهوار، ان ارتفاعاً وهبوطاً في مستوى المياه قد يبلغ احياناً اربعة اقدام، وفي موسم الفيضان العالي تنغمر اكثر الاراضي المجاورة للاهوار بصفحات مياه واسعة، وغالباً ما يبلغ عمقها نحو ستة اقدام في الاماكن المنخفضة. هذا من ناحية، اما من الناحية الثانية فان قسماً كبيراً من الاهوار التي يشح فيها الماء، كما حدث في عام ١٩٥١، يصيبها الجفاف خلال شهري ايلول وتشرين الاول. وفي خريف تلك السنة نفسها كان من الممكن قطع الاهوار الوسطية من الشمال إلى الجنوب عبر سلسلة من البرك الصغيرة ابتداء من "الديمة" حتى "الزجري". ويصبح السفر متعذراً جداً بالقوارب، ومن الصعب اجتيازها مشياً على الاقدام خلال الاوحال ومنابت البردي. وينتقل المعدان في قواربهم من مكان إلى آخر في الهور. ويستطيعون ان يتوغلوا في اكثر مناطقه اذا ما ارتفعت مناسيب الماء؛ وهم مهرة في ولوج السبل المنبثة خلال منابت البردي غير الواضحة؛ ولكن معرفتهم هذه محلية لا تتعدى حدود المنطقة التي يسكنون فيها. وقليل منهم يلم بالاماكن البعيدة عن مساكنهم.

(البواري).. من اجل سقف البيت

ولا يقتصر وجود البردي، الذي يعلو عادة ثمانية اقدام، على الاهوار الدائمة كالقصب، ولكنه ينمو في المناطق التي تتحكم فيها الفيضانات الموسمية المنظمة، ويستعمله المعدان علفاً لدوابهم (الجاموس) اذا ما انعدم القصب، ويشيدون اكثر مساكنهم على اكوام هائلة من البردي بحيث يتكون منها مرتفع اصطناعي يعرف "بالجباشة" يعلو عن سطح الماء قليلاً. ويأكل المعدان جذوره، وتجمع نساؤهم رؤوسه المتفتحة خلال موسم الربيع ويصنعن منه حلوى صفراء تعرف "بالخريط". ويعتاد الجاموس مضغ حشائش "الكولان" (scripus bra-chyeras) التي تنمو في اطراف الاهوار. وفي الاهوار حشائش أخرى "كالسجل" ((Cyperus rotundus و"الجريح" ((Cladium mariscus، والاخيرة أوراقها جارحة، وتنمو في منابت القصب لاسيما في الجزر الصغيرة العائمة في البرك. وحينما ينخفض منسوب الماء في الاهوار تزدحم مجاري المياه "بالغزيزة" ((Salvinea nataus والشمبلان (Ceratophyllum sub-mersum) وتلتف هذه الحشائش بعضها مع بعض بحيث يتعذر على القوارب اجتيازها. وتخلو البرك العميقة، التي يبلغ بعضها اكثر من ١٦ عقدة، عادة من الحشائش ما عدا حشائش "السويكة" (Najans Marina). وخلال شهري آذار ونيسان تكسى أكثر صفحات المياه بأزهار بيض صغيرة تعرف بـ "زهير البط" (Ranunculus sphaerosper-mus)، وتزدهى في نيسان بأزهار صفر براقة أو بيض ناصعة تعرف "بالكعيبة" (Nymphoides peltata and indica). وتنمو في الاهوار حشائش أخرى منها: "المران" (Panicum repens) و"ذيل العتوي" ((Polypogon monspeliensis و"الحو" و"الحليان" أو الغريب (Paspalum distchum.) ويدعي المعدان ان البريطانيين هم الذين أدخلوا حشائس "الحليان" واتسع انتشارها هناك.

ومن الغريب ان الاهوار لا تنبت إلا أنواعاً من النباتات قليلة. وفي خلال الربيع والصيف من سنة ١٩٥٢ اعددت بقدر ما استطيع مجموعة شاملة منها.

أصل المعدان

ان جميع عشائر العراق الجنوبية باستثناء العشائر البدولة الاصيلة، قد امتزجت ولا شك دماؤها بدماء اجنبية. فاذا كان عرب الحجاز ونجد يمثلون الطابع العربي فقد اختلطت دماء اكثر عشائرها بدماء اجنبية اذا ما ألقينا احكامنا هذه على صفاتهم الجسمية. وهذا ما نتوقع وجوده بين سكان الاهوار؛ فقد كانت هذه الاهوار ملجأ أميناً لبقايا الشعوب المغلوبة منذ اقدم عصور التاريخ. ومن المتعذر جداً القيام بعمليات عسكرية في هذه الاهوار كما دلت الحرب العالمية الاولى حينما حاولت القوات البريطانية القاء القبض على المعدان الذين سببوا لها اتعابا. ان القبائل الرحالة البدوية قد استهجنت ولا بد هذه الاهوار حينما غزت العراق لاول مرة؛ غير ان بعضها أو بعض بطونها التي قد اختلطت دماؤها فعلاً بدماء اجنبية لدرجة كبيرة قد اضطرت بمرور الزمن الى ان تعيش في هذه الاهوار وتكيف أساليب عيشها إلى هذا المحيط الجديد. وتعيش اليوم بعض بطون عشيرة ألبو محمد الكبيرة والقوية "كالشدة" والبو نصر الله في الاهوار، في حين ان اكثر افراد عشيرة البو محمد يعيشون فلاحين في المنطقة الواقعة بين العمارة وقلعة صالح. وشبيه بهم عشائر بني اسد وبني خيقان واكثر عشيرة الفرطوس. فهؤلاء جميعهم من المعدان. ويدعي كل بطن من هذه البطون على انه ينحدر من سلالة عربية كما تنتسب العشيرة التي ينتمي إليها، وان كان في الحقيقة يعود إلى اصل آخر، ما دامت القبائل العربية الكبيرة تمتص في كل مكان القبائل الضعيفة التي تحتمي بها من اجل المحافظة عليها. ففي منطقة عمان مثلاً توجد جماعة من البلوش اندمجت "بالوهيبة". ومع انها لا تختلف تقريباً في مظهرها وعاداتها ولهجتها عن الوهيبة، ولكن هؤلاء البلوش يعترفون باصلهم المستقل؛ وسيدعون كلما مر الزمن انهم ينحدرون ولا شك من عمود النسب الذي تنحدر منه عشيرة الوهيبة، لان الانحدار من صلب قبيلة عربية مشهورة له اهمية في الشرق الاوسط كأهمية الانحدار من اصل نورمندي في بريطانية. وعليه فليس من الحكمة ان نتقبل ما يقوله المعدان عن انفسهم من انهم ينحدرون من اصل عربي. وتعترف عشيرة "الشغانبة" وبعض افراد "الفريجات" حتى يومنا هذا بأنها من اصل صابئي، ويتضمن هذا القول، على ما يظهر، انهم كانوا موجودين في هذه المناطق قبل نزوح العرب اليها وان ظلوا يجهلون سلسلة نسبهم. وفي ضوء هذا فان نسب عشيرة البو محمد يرجع إلى حادثة زواج وقعت قبل اربعة عشر جيلاً بين احد افراد عشيرة "العزة" (من زيد) وامرأة من عشيرة "الفريجات". وتذهب الرواية إلى ان عربياً اسمه "محمد" قد التجأ إلى عشيرة الفريجات بعد ان قتل ابن عمه وظل هناك نحو خمس عشرة سنة؛ وكانت ترافقه شقيقته المسماة "باشا". وخلال هذه المدة احب محمد احدى بنات رئيس عشيرة "الفريجات" تدعى "محناية" وأراد ان يتزوجها؛ فوافق أبوها على ان يتزوج أخته "باشا". فوافق محمد على هذا العرض؛ غير ان رئيس "الفريجات" استبدل "محناية" الجميلة بـ "كوشة" القبيحة. وحينما دخل عليها محمد ورفع حجابها علم بالخديعة واكتشف المؤامرة التي دبرت ضده، فاستسلم إلى القدر وجعلها زوجاً له قائلاً "الحمد لله والشكر هذا هو رزقي. وقد انجبت "كوشة" ولدين هما "سعد" و"عبود". ومن هذين الولدين انحدر بطناً ألبو محمد: "العملة" و"البو عبود" وحتى يومنا هذا نجد ان "نخوة" عشيرة البو محمد هي "أنا أخو باشا" ونخوة الفريجات "أنا أخو كوشة".

ومع ان العرب قد فرضوا لغتهم ودينهم وثقافتهم على المعدان ولكن لا يعرف كثيراً ما في عشائر الفريجات والشغانبة والفرطوس والشدة والسويعديين والسواعد والغولية وكعب من دماء عربية نقية. وعلى كل حال فانني مقتنع ان لمن الخطأ ان نحسب المعدان يختلفون جنسياً ethnological عن غيرهم من العشائر المجاورة. اذ لا توجد بين المعدان وغير المعدان حدود واضحة المعالم. ومن الخطأ ان نفترض ان المزارعين ينتمون إلى اصل عربي والمعدان ينتمون إلى ارساس قديمة غير عربية. فقد اختلطت دماء اكثر هذه العشائر اختلاطاً كبيراً. ولعل الدماء العربية في بعض المعدان هي اقل من المزارعين الذين يعيشون بعيداً عن الاهوار. وعلى كل فان المسألة لا تتعدى حدود النسبية. وليس التفاوت بينهما رسيا بل تفاوت في البيئة الخاصة التي يعيشون فيها، ولدرجة ما إلى المهن التي يتعاطونها. ومن اليسير على المرء ان يميز بدوياً يقطن الاراضي المجاورة للصحراء أو مدينة عربية. فمظهره العام وسلوكه الخاص ونبرات صوته تنم كلها عن بداوته؛ ولكن من العسير جداً ان تميز اليوم معيدياً بين حشد من المزارعين المجاورين اذا كانت ملابسهم متشابهة، أو تميز احدهم في اسواق مدينة العمارة أو قصبة المجر الكبير. ومع ان افراد عشيرة البو محمد يلبسون لباساً واحداً ويتكلمون لهجة واحدة ويعيشون عيشة متشابهة فان بعضهم يطلقون على انفسهم فلاحين من حيث انهم يقومون بزراعة الشلب في اطراف الاهوار، بينما يطلق آخرون على انفسهم المعدان حينما يقطنون على مسافة اربعة أو خمسة أميال داخل الهور. وكلاهما يقومان بتربية الجاموس وزراعة الشلب وصيد الاسماك "بالفالة". ويتخذ المعدان تربية الجاموس وسيلة عيش لهم، كما يتخذ المزارعون زراعة الشلب مورداً لرزقهم. وقد يملك بعض الفلاحين جاموساً اكثر من غيرهم، وقد يزرع المعدان الشلب اكثر مما يزرع الفلاحون المجاورون. وتطلق كلمة المعدان على سكان الاهوار. وربما يذهب بعض الناس إلى ان كلمة المعدان ينبغي ان تطلق فقط على سكان الاهوار الذين يملكون قطعاناً من الجاموس، ويتنقلون بها من هور إلى آخر، وان كلمة الفلاحين تطلق على القرويين الذي يقومون بزراعة الشلب سواء اكانت هذه الزراعة داخل الاهوار أم على حافاتها. ويذهب "كلوب" مثلاً إلى ان كلمة "بدو" ينبغي ان يقتصر استعمالها على اولئك البدو الرحل الذين يملكون جمالاً، وينتسبون إلى اصل عربي صميم، في حين ان عرب الحجاز يطلقون استعمالها غالباً على عدة عشائر منها عشيرة البو هلال التي تملك اغناماً ومعزاً وماشية، ولا تملك جمالاً إلا في شذ وندر. والحقيقة ان العرب انفسهم لم يراعوا الدقة في استعمال هذه المصطلحات. لقد كان المعدان يعتمدون في معيشتهم فيما مضى على الجاموس كل الاعتماد، بينما يعتمد كثير منهم اليوم على زراعة الشلب، ولكن كلا اصحاب المواشي والفلاحين هما من سكنة الاهوار، وعلى هذا الاساس فقد اصبحوا معداناً.

شيء عن (المعدان)

باقر الدجيلي

قدم الأستاذ باقر الدجيلي لترجمته لمحاضرة ولفرد ثيسكر عن المعدان بالمقدمة التالية:

في صيف عام ١٩٥٣ ألقى ولفرد ثيسكر Wilfred Thesiger محاضرة على أعضاء (الجمعية الملكية) في لندن عنونها: المعدان أو سكان الاهوار الجنوبية في العراق، ونشرها في مجلة الجمعية في عددها الصادر خلال شهر كانون الثاني عام ١٩٥٤ وقد درس منطقة الاهوار دراسة وافية وبحث احوال المعدان الاجتماعية والاقتصادية، بحثاً مستفيضاً واكتسب خبرة واسعة، نالها عقب زيارات متعددة لهم خلال ١٩٥١- ١٩٥٣، وبحث في النباتات والحشائش التي تنبت في الاهوار، متحرياً عن اسمائها المحلية ومحققاً اسماءها العلمية، وقد جمع منها حوالي ثلاثين جنسا قدمها الى قسم التاريخ الطبيعي في المتحف البريطاني بلندن. كما تناول دراسة الحيوانات الموجودة هناك، فذكر اسماءها المحلية والعلمية لاسيما الطيور المهاجرة اليها والمستوطنة فيها.

ولم يكن المستر ولفرد ثيسكر أول أجنبي زار منطقة الاهوار وتوغل فيها، بل سبقة آخرون، ففي عام ١٩٢١ زارها كل من مستر بكستون A.P.Buxston ومستر داوسن V.H.W.Dawson، وكتبا بحثا قصيراً عن عرب أهوار جنوب ما بين النهرين نشر في مجلة المتحف الهندي، تناولا فيه حياة المعدان الاجتماعية والمعيشية. وفي عام ١٩٣٤ زارها مستر هنري فيلد العالم الانثروبولوجي الامريكي المعروف، ودرس سكانها لاسيما قبيلة البو محمد الساكنة في الاهوار الشرقية، ووضع كتاباً عن سكان منطقتي الفرات ودجلة الساكنين جنوب العراق نشره عام ١٩٤٩، ساهمت في كتابة فصل منه السيدة دراورز E.S.Drowers خاص بـ(عرب هور الحويزة) ويتضمن أكثر الفصل دراسة زراع منطقة ناحية الكحلاء من قبيلة البو محمد. وقد نشر مستر فيلد عدة كتب في السنوات الاخيرة عن العراق، منها كتاب (عرب أواسط العراق) Arabs of Central Iraq .

ان دراسة أحوال المعدان والوقوف على طراز معيشتهم وحياتهم ليست من الموضوعات المجهولة لدى المشتغلين بالادارة أو الساكنين على مقربة منهم، الا انها قد تكون مجهولة لدى بعض المثقفين من ابناء المدن وسكان المناطق الشمالية، وقد تصبح غريبة لدي الاجيال القادمة اذا ما انتظم الرى في العراق وتطورت حياة السكان الاقتصادية، وزالت أكثر معالم الاهوار، وانتقل سكانها الى حياة جديدة لم يألفوها من قبل. وقد يتعذر على الباحثين في المستقبل الاطلاع على طراز حياتهم، ولذلك فقد ازداد الاهتمام بدراسة أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية. ولهذا السبب أرسلت هيئة البحوث العلمية للجامعات الألمانية الحرة في بون سنة ١٩٥٥ البروفسورة زيغريد ويستفال هلبوش Dr. Sigird Westphal Helbusch وزوجها الى منطقة لواء العمارة للقيام بدراسة حياة المعدان. وبحكم وظيفتي تعرفت عليهما وقدمت اليهما المساعدات عملاً بتوصية وزارة المعارف، وحلا ضيفين مكرمين في دار الشيخ عبد الله السكر لمدة شهرين كاملين في منطقة "الصيقل" التي تقع على حافات الاهوار الوسطية، وتجولا في منطقة الاهوار كلها، وزارا منطقة "الصحين" ايضاً.

وآخر من قام بدراسة الاهوار السيد شاكر مصطفى سليم، فقد أعد بحثاً عن النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لمنطقة الجبايش لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة لندن. وقد ترجمه الى اللغة العربية وطبعه في مجلدين ، اخرج منه المجلد الاول بعنوان : (الجبايش: دراسة انثروبولوجية للقرية في اهوار العراق) .

وأرجو ان أكون قد وفقت لترجمة محاضرة مستر ولفرد ثيسكر وان تنال من المتتبعين والراغبين في الاطلاع على سكان الاهوار الاهتمام الذي تستحقه.

العمارة

١٩٥٦/١/١

باقر الدجيلي

قائممقام قضاء مركز العمارة

بيت تقليدي في الاهوار